الله

بين الفطرة والدّليل

تأليف

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام
١٤٣

اللهُ

بينَ الفِطرةِ والدّليل

تأليف

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والإعلام

١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٥٢٤) لسنة ٢٠١٧م

اسم الإصدار: اللهُ بينَ الفِطرةِ والدّليل

تأليف: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والإعلام.

الكمية: ١٠٠٠.

الطبعة: العاشرة.

المطبعة: دار الكفيل.

التاريخ: ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م.

موقع العتبة المقدسة: www.aljawadain.org للمراسلة: fikriya@ aljawadain.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد الصمد، ذي الظهور بلا سند، والدائم بوحدانيته من غير أمد، الذي علا الأوهام بكمال جماله والذي قرب تحنناً من قلوب عباده، فتحيرت العقول بين ذين وذين في اجتماع أضداده وهو في كل ذلك بسيط الحقيقة في وجوده وبقائه، ثم الصلاة على كامل خلقه، ومثال عبوديته، ومنتهى رحمته، محمد وآل محمد، هداة الأنام، وشفعاء أهل الآثام، وأهل النهى والحكم، يوم يقوم المقام.

وبعد...

الطرق إلى الله كثيرة بعضها يثبت بأدنى التفاتة - بشرط عدم وجود الشبهة أو العناد — وبعضها يحتاج إلى طوي مقدمات، وهذه المقدمات مختلفة وفق الطريق المسلوك، فالحكماء لهم طريق والمتكلمون لهم طريق، والعلماء التجريبيون بأصنافهم لهم طريق يختلف عن الباقين، ولا تنحصر المسالك بهذه الأقسام بل هي من باب المثال فقط.

ثم إن هذه الطرق بعضها أوثق من بعض بسبب قوة المقدمات وثبوتها، إلا أن الجامع بينها والهدف الأساسي لها هو إثبات وجود البارئ عز وجل ومعرفته، وقد أُلِّف لهذا الغرض المؤلفات الكثيرة، وأحكمت لها البراهين والأدلة وعلى وفق قدرة الكاتب ومشربه العلمي، وتباينت التأليفات في عرض الأدلة بالإيجاز والإطناب،

فمنها ما فُصلت فيها الأدلة وما قد يرد عليها من إشكالات ودفع الإشكالات ونقضها بتقديم الحلول والإجابات المحكمة.

ومنها ما اختُصرت فيها الأدلة اختصاراً شديداً، وكل كاتب كان يتوخّى مقصداً فيما ألّف وكتب.

وبصورة عامة اتخذ كلّ كاتب أسلوباً معيناً معتمداً على لغة علمية واحدة ولم يتعد إلى أخرى، إلا أننا في هذا المؤلف نجد أن الشيخ محمد حسن آل ياسين قدس سره عرض الأدلة في إثبات وجود الله عز وجل متمازجة متعاضدة وإن كانت طرقها مختلفة المنهل يقيناً منه قدس سره أن كل الطرق توصل إلى الله سبحانه وتعالى، ولذا ولحرص الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة على نشر الوعي الإسلامي ورفع المستوى العام للمسلمين أعادت طبع هذا الكتاب بحلة جديدة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ما كتبه الشيخ آل ياسين قدس سره في ميزان حسناته ويرفع درجاته، وأن نكون قد أسهمنا ولو بقدر قليل في رفع شبهة أو رد ضال، سائلين المولى عز وجلّ أن يتقبل منا إنه سميع الدعاء.



صورة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وُلد في أسرة علمية مرموقة خدمت العلم وأنجبت العديد من الأعلام، فهو ابن الشيخ محمد رضا آل ياسين أحد مراجع عصره الذي عبّر عنه الشيخ الأميني صاحب الغدير بـ(شيخنا الأكبر محمد الرضا آل ياسين الكاظمي النجفي دامت أيامه وأفاضاته)[1]، وقد أرّخ والده عام ولادته (قُلْ لِيَهنَ «الرضا» بمولده)[2]، والذي يصادف الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ.

نشأ في مدينة النجف الأشرف - حيث يقيم والده - وتحت رعايته، وتعلّم الكتابة والقراءة من الكتاتيب، وبعدها دخل مدرسة منتدى النشر، وحضر بعدها دروس العلوم الشرعية على فضلاء تلامذة والده أمثال الشيخ عباس الرميثي والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، و(درس البحث الخارج عند عدد من أساتذة النجف منهم السيد أبو القاسم الخوئي وعمّه الشيخ مرتضى، وحضر درس

(١) الغدير، الأميني ٨/٢.

(٢) كواكب المشهد الكاظمي، عبد الكريم الدباغ ١/٣٥٧.

والده في السنتين الأخيرتين من حياته)[١]، وكانت وفاة والده سنة ١٣٧٠هـ، وبعدها بسنتين مات عمّه الشيخ راضي آل ياسين، فهاجر إلى الكاظمية تلبية لطلب كثير من المؤمنين من أهالي الكاظمية ليحلّ محلّ عمّه في إمامة المسجد والإرشاد والهداية، وأسس مكتبة الإمام الحسن عليه السلام في الكاظمية، ودار المعارف للنشر العلمي وذلك بمعونة بعض أهل الكاظمية، وترأس الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، وأشرف على مجلتها (البلاغ) والتي استمر صدورها أكثر من عشر سنوات.

وفي سنة ١٤٠٠هـ، عُيّن عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي، وفي السنة نفسها عُيّن عضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني، وبعد خمسة عشر عاماً عُيّن زميلاً في هيئة ملتقى الرواد، وبعدها بثلاث سنوات اختير عضوَ شرف في المجمع العلمي العراقي، ويدل ذلك كلّه على مكانته المرموقة في الأوساط العلمية، وله آثار كثيرة تأليفاً وتحقيقاً، فقد عُدَّ له مئة مؤلف في مختلف فروع المعرفة، فضلاً عن (٥٠) كتاباً محققاً، وأبحاث في المجلات والصحف، ففي أصول الدين كَتَبَ (الله بين الفطرة والدليل، والنبوة والإمامة، والإنسان بين الجبر والاختيار، والمعاد)، وألّف في سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله (في رحاب الرسول)، وسيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وألّف حوالي ثلاثين كتاباً في

(١) ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة ٣/٥٣٠.

سيرة الصحابة الكرام، وله تأليف في تأريخ المشهد الكاظمي، وله في اللغة الكثير مثل تحقيق معجم العُباب الزاخر للصغاني، وتحقيق المعجم المحيط للصاحب بن عباد.

وللاطلاع على سيرته الدراسية والعلمية وآثاره وما قيل في رثائه يمكن مراجعة المجلد (صفر) من موسوعته التي نشرتها في بيروت عام ٢٠١٢م دار المؤرخ العربي وقد ضمّت مؤلفاته في (١٧) مجلداً، وأما كتبه المحققة فلم تُطبع لحد الآن. كما يمكن الاطلاع على مختلف جوانب حياته المباركة من خلال رابط موقعه على الأنترنيت: (al-yaseen.org).

توفي في الكاظمية في السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧هـ، ودفن في إحدى الحجرات الشرقية في الصحن الكاظمي الشريف قرب باب الرجاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١)

-القرآن الكريم-

(كيف يُستدلُّ عليك، بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهرَ لك؟ متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟).

-الحسين عليه السلام -

فوا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله في كلّ تحريكة ... وفي كلّ تسكينة شاهدُ
وفي كلِّ شيء له آيةٌ ... تدلُّ على أنه واحدُ

- شاعر قديم-

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

مُقَدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عُنيت البشرية منذ تنسَّمت أول نسائم الحياة على سطح الأرض بالتفكير في خالق الحياة ومُفيضها على هذا الكون الرحيب، وكان حديث الناس عن الألوهية في تلك العصور المغرقة في القدم متماشياً مع ما كانوا عليه من فِطرٍ ساذجة، ومدارك محدودة، وقابليات ذهنية ضيقة الأفق. ثم توسّع الحديث وتشعّب بفضل التطور العقلي والنمو الذهني للإنسان حتى بلغ أوجه في عصر الفلسفة، عندما لعب الفكر الفلسفي دوره الكبير في هذا الميدان وجال فيه كلّ مجال، ووضع للإيمان من الأسس الصلبة والركائز الثابتة والقواعد التي لا تقبل النقاش ما بدّد بها شكوك الجاهلين وشبهات الجاحدين.

وعندما دخل العلم عهد تطوره الكبير في عصورنا الأخيرة، حاول كثير من حملته أن يستغلوه في محاربة الدين وتشويه العقيدة، فادّعوا بأن العلم ينفي وجود الله تعالى، وينفي القاعدة العقلية القائلة بضرورة وجود خالق لكلّ مخلوق وموجد لكلّ موجود، ثم نسبوا كلّ شيء في الكون لحركة المادة وظهور الصدفة وتخبّطات النشوء والارتقاء.

وراجت خلال ذلك شبهات وشكوك، وانتشرت أقاويل وظنون، وشاع التطبيل لأزلية المادة وخلودها. وتعرّض المجتمع المسلم لإعصار عنيف هزَّ الأفكار هزاً، وجرف في طريقه أكثر أولئك الذين قامت عقائدهم على التقليد والإتباع، بعيداً عن الدليل والإقناع.

ولما كنّا نؤمن بأن الإسلام لا يمكن أن يصطدم بالعلم والعقل أبداً، لأنه قائم عليهما ومستند إليهما، كان لزاماً أن نبحث موضوع الألوهية على ضوء العلم الحديث الذي أراد المشكّكون استغلاله في الهدم والتخريب. وكانت خلاصة النتائج التي أدى إليها البحث: أنّ هذا العلم بلغته الخاصة ومنهجه المجرد، وبأحدث نظرياته وأعمق اكتشافاته، قد زادنا إيماناً بالله تعالى، ووضع في أيدينا من الأدلة والبراهين ما لم يكن في متناول السابقين من الكتّاب والباحثين. وأن هذا العلم قد فنّد- بكل صراحة ووضوح - سائر دعاوى القائلين بأزلية المادة وآثار حركتها وتطورها في الخلق والإيجاد، وكلّ مزاعم المعتمدين على الصدفة والاحتمال في ظهور الحياة والموجودات في هذا العالم الكبير.

ورغبة في استيعاب الكتاب وشموله لكلّ جوانب الموضوع بدأتُ البحث باستعراض موجز لبراهين الفطرة السليمة وأدلة الفلسفة وحجج علم الكلام. ثم عرضتُ – بشيء من التفصيل- لأسلوب القرآن الكريم في البرهنة على هذه الحقيقة الكبرى، وهو أسلوب فذّ

بين أساليب الاستدلال، بما جمع من مخاطبة العقل وتوعية الشعور والاعتماد على الحس والأثر الخارجي. ثم كانت براهين العلم الحديث خاتمة المطاف في هذه الجولة الروحية المترامية الأطراف.

وكلّ ما آمله من وراء هذا البحث أن يكون لي فيه ثواب وأجر، وللقراء الكرام هدىً ونفع. والله ولي التوفيق.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١).

العراق – الكاظمية

محمد حسن آل ياسين

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.

البحثُ في وجود إله خالق مدّبرٍ للكون؛ وعن أدلة وجود هذا الإله الخالق؛ بحث قديم مغرق في القدم إلى آماده البعيدة النائية؛ وإن اختلفت أشكاله على مرّ العصور، وتفاوتت أساليبه، وتغايرت أدلته وبراهينه.

والإنسان – منذ أصبح إنساناً واعياً شاعراً- مجبول على حبّ التطلع إلى ما وراء الغيب، ومفطور على الرغبة في معرفة مبادئ الأشياء وغاياتها وفهم حقائق كل شيء منها. من أين جاء؟ وكيف صار؟ وإلى أين سينتهي به الطواف؟

وتحت تأثير هذه الفطرة والجبلّة تطلّع الإنسان إلى الكون، ولم يتوانَ عن التأمل في أسراره، بمقدار ما يستوعبه عقله وتفكيره في كلّ دورٍ من أدواره الحضارية- على امتداد التاريخ-، وكان البحث في وجود المبدأ الأول مفيض الوجود في مقدمة تلك الأسرار الكونية التي حاول فهمها والتأمل فيها بمقدار ما كان يملك من أدوات الفهم والتفكير.

ولما كان إدراك الإنسان لحقائق الأشياء قد نشأ- أول ما نشأ- محدوداً لا يتعدى دائرة حياته البسيطة الضيقة. ثم تطور وتقدم على

مر القرون تبعاً لتطوره وتقدمه في ميادين المعرفة؛ فلا غرابة إذا ما رأينا موضوع الاعتقاد بالإله الخالق الموجد للكون متطوراً متدرجاً بمقدار تدرّج الإنسان في نموه العقلي والفكري في تاريخ تطوره البعيد والقريب. ولهذا نجد في الإنسان –منذ عصوره الأولى– مَنْ عبد الحيوانات أو الكواكب أو بعض الجمادات معتقداً بأنها (ربّه) الذي يُحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعطي ويمنع، ولم يكفه مجرد العبادة لها أو التصديق بربوبيتها بل جثا تحت أقدامها يقرِّب لها القرابين ويقدِّم الأضاحي لتجلب له الخير وتدفع عنه الشر.

لقد رأى الشمس تصنع الحياة والدفء والنمو في الكائنات الحية، بل لا حياة بدونها، فتوهم أنها الله.

ورأى القمر ينير ظلمات الليل للمدلجين التائهين في بطون الصحارى الكالحة، فتخيّل أنه الله.

ورأى النجوم ترسل بصيص شعاعها من أغوارها البعيدة وكأنها لغز محيِّر يترك الفكر حائراً مشدوهاً، فتصور أنها الله.

ثم رأى– أخيراً وليس آخراً– بعض الحيوانات تمنحه المأكل أو المشرب أو الملبس أو يبدو منها ما يثير الإعجاب من بسالة أو قوة أو ضخامة فاندفع إلى عبادتها على أساس أنها الله.

وهذا كله إن دلّ على شيء فإنما يدل على بساطة هذا الإنسان في تفكيره وسذاجة عقله، كما يدل على إيحاء فطرته السليمة له بضرورة وجود إله موجد لهذا الكون من العدم.

ثم تطورت نظرته إلى هذه الأمور- بفضل إرشاد الرسل وهدى الكتب السماوية- وتطور شعوره وإدراكه، فعرف بفهمه الفاحص ربّه الخالق الموجد ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

إن الفطرة من أهم مصادر معرفة الإنسان بربه وإيمانه به، وقد دفعته هذه الفطرة- أو وعيه الداخلي المعبَّر عنه بـ(اللاشعور) — إلى الاعتقاد بضرورة وجود خالق لهذا الكون، خلق الموجودات بعد أن لم تكن، وأودع في كلّ موجود منها نظامه وقانونه ليقوم بواجبه ويؤدي الغرض الذي خُلق له، بنحو دقيق وسير رتيب ونظام ثابت لا يتبدل ولا يتغير.

لقد فهم الإنسان كلّ ذلك بفطرته البشرية، وكان دليل هذه الفطرة بسيطاً كبساطتها واضحاً كوضوحها، حيث تؤمن هذه الفطرة بأن

---

(١) سورة الملك: الآيتان ٣-٤.

كلّ أثر يدل على مؤثِّر، وكلّ موجود يدل على موجِد، وأن (البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا يدلان على اللطيف الخبير).

وكمثال على إيحاء الفطرة وسوقها الإنسان إلى الاعتقاد بالله تُروى هذه القصة المأثورة التالية:

يُروى بأن ملحداً حضر صباح ذات يوم في أحد مجالس بغداد طالباً حضور من يناقشه في إلحاده، فأرسل صاحب المجلس رسولاً إلى أحد المتكلمين للقيام بهذه المهمة، وانتهى الرسول إلى دار ذلك (المتكلم) وأفهمه الواقعة، فطلب من الرسول الرجوع إلى صاحب المجلس وإعلامه بأنه في الأثر.

وبقي الجميع بالانتظار ساعات طويلة كاد أن يتفرق بها المجلس، وإذا بـ(المتكلم) يدخل محيّياً ويلتفت إلى صاحب المجلس راجياً منه العذر عن التأخير غير المتوقع لأنه لم يتأخر كلّ هذه المدة تماهلاً أو رغبة في الراحة، بل رأى وهو في طريقه إلى المجلس عجباً ملك عليه شعوره وإحساسه، فلم ينتبه إلى نفسه وموعده إلا بعد وقت طويل، فجاء مسرعاً عَجِلاً.

ولما سُئل عن هذا العجب الذي أخذ عليه مجامع عقله قال: (لمّا انتهيت إلى ضفاف دجلة وأنا في طريقي إليكم رأيت شجرة ضخمة تهوي إلى النهر من تلقاء نفسها، ثم شاهدتها تتقطع قطعاً متشابهة متشاكلة منظّمة، ثم أبصرت هذه القطع تتلاقى وتتلاحم على شكل زورق، ثم سال عليها القار ودخلت فيها المسامير فأصبحت زورقاً جميلاً رائعاً، ثم رأيت هذا الزورق يقف عند الضفاف من تلقاء نفسه فإذا ركب به الناس سار بلا مجداف ولا سائق حتى يصل إلى الجانب الآخر، فإذا ركب به الناس من ذلك الجانب سار بهم إلى الجانب الأول، وهكذا. وكان هذا هو العجب الذي رأيته وسبَّب لي التأخير).

وما إن أتم كلامه حتى ضحك ذلك الملحد ضحكاً عالياً وقال: (إني لآسف من تضييع الوقت في انتظار هذا الرجل الذي لم أجد في حياتي من بلغ مبلغه من السخف والحماقة، وهل يمكن في العقل أن تسقط شجرة وتتقطع وتتلاحم وتُطلى بالقار ثم تصبح زورقاً ينقل الناس من جانب إلى جانب بدون وجود من يفعل ذلك؟).

فالتفت إليه المتكلم وقال:

(إذا كان وجود زورق بسيط من تلقاء نفسه أمراً غير ممكن عقلاً وفي نهاية الحمق والسخف، فكيف بوجود الأرضين والسماوات والكواكب والكائنات الحية من تلقاء نفسها؟ وهل أكون أنا أشدّ سخفاً أم أنت؟).

وسكت الملحد مطرقاً برأسه ولم يجد أمامه إلا الاعتراف بالخطأ والغفلة.

وهكذا تملي الفطرة البشرية على الإنسان دليل الاعتقاد، وبهذا الأسلوب البعيد عن غموض براهين الفلسفة ومصطلحاتها وأساليبها المعقدة.

أما الفلسفة فكان لها أسلوبها الخاص في البرهنة والاستدلال، وللفلاسفة في هذا الموضوع جولات وجولات انتهوا منها إلى مجموعة من البراهين العقلية المنطقية التي تثبت العقيدة وتعمّق الإيمان وتدحض الشبهات.

وكان من أوضح تلك البراهين قولهم:

الموجود إن كان واجباً فهو المطلوب، وإلا استلزمه، لاستحالة الدور والتسلسل.

ومعنى ذلك:

إن أيّ شيء موجود بالبداهة إن كان واجب الوجود فهو المطلوب، وإن كان ممكناً افتقر إلى مؤثر موجود بالبداهة، فذلك المؤثّر إن كان واجباً فهو المطلوب، وإن كان ممكناً افتقر إلى مؤثّر، فإن كان واجباً فالمطلوب، وإن كان ممكناً تسلسل، والتسلسل باطل.

ولزيادة الإيضاح قالوا:

لا شكّ في وجود موجود، فذلك الموجود إن كان واجباً لذاته فقد حصل المطلوب، وإن كان ممكناً لذاته افتقر إلى مؤثّر، فذلك المؤثّر إن كان واجباً لذاته فقد حصل المرام أيضاً، وإن كان ممكناً لذاته افتقر إلى مؤثّر، فذلك المؤثّر إن كان هو نفس أثره لزم الدور، وهو محال، لأنه حينئذٍ يتوقف كلّ واحد منهما على الآخر، في حين أنه يجب تقدم المؤثِّر على الأثر.

وإن كان ذلك المؤثّر شيئاً آخر غير أثره فلا يخلو:

١. أن ينتهي إلى موجود واجب لذاته.

٢. أن يتسلسل إلى غير نهاية.

والأول يحصل به المطلوب، والثاني باطل.

وحيث إن كلّ ممكن لا بدّ له من مؤثّر، فهذا المؤثّر:

١. إما أن يكون نفسه.

٢. أو أمراً داخلاً فيه.

٣. أو أمراً خارجاً عنه.

والأول محال، لأن المؤثّر لا بد أن يكون متقدماً على أثره، ولأن تقدم الشيء على نفسه ممتنع عقلاً.

والثاني محال أيضاً، لأن المؤثّر في الشيء مؤثّر في كل جزء من أجزائه، فلو كان أحد أجزاء ذلك الشيء مؤثّراً في ذلك الشيء لزم أن يكون مؤثّراً في نفسه ومؤثّراً فيما أثَّر فيه وكل منهما محال: أما الأول فلامتناع تقدم الشيء على نفسه، وأما الثاني فلاستلزامه الدور وهو باطل.

ولما بطل القسمان الأولان تعيّن الثالث، وهو أن يكون المؤثّر في ذلك الشيء أمراً موجوداً خارجاً عن ذلك الشيء، والخارج عن مجموع الممكنات لا يكون ممكناً لذاته، وإلا لكان داخلاً في جملتها، بل لا بد أن يكون خارجاً عنه، وهو المطلوب.

وفحوى هذا البرهان بعبارة واضحة هو: أنه لما كان لهذا الكون موجد بلا شك لأنه لا يمكن أن يوجد الشيء من العدم، وكان هذا الموجد موجوداً – بلا شك- لأنه لا يمكن أن يكون وجود الكون مسبَّباً من أمر عدمي، أي من موجد لا وجود له، فهذا الموجد إما أن يكون واجب الوجود أو لا؟

فإن كان واجب ا لوجود فقد ثبت المطلوب.

وإن لم يكن واجب الوجود فلا بد له من سبب مؤثّر فيه، فإن كان هذا السبب المؤثر واجب الوجود فهو المطلوب أيضاً، وإن لم يكن كذلك فلا بد له من سبب مؤثّر أيضاً.

وهكذا ينتهي بنا الأمر إلى الجزم بوجود خالق واجب الوجود هو مصدر الوجود ومودعه في الكون، وإلا لزم أحد أمرين:

١. التسلسل: ومعناه أن يتوقف كل موجود على موجد، وهذا الموجد على آخر يوجده، وذلك على موجد أيضاً، وإلى ما لا نهاية له، وقد ثبت في العقل أن التسلسل باطل لأنه لا يوصل إلى نتيجة.

٢. الدور: ومعناه أن الموجد المؤثّر قد خلق شيئاً هو المعبّر عنه بـ(الأثر)؛ وأن يكون ذلك الأثر هو الموجد للمؤثّر فيه، وهذا واضح البطلان لأنه ينتهي إلى توقف الشيء على نفسه.

ولما كان التسلسل والدور- كما أسلفنا- باطلين، فقد ثبت أنه لا بد من الإقرار بوجود صانع موجد واجب الوجود لذاته هو الله تعالى.

أما المتكلمون فقد سلكوا طرقاً أخرى في البرهنة على وجود الله تعالى، واعتمدوا فيها على المنهج العقلي الحر، بعيداً عن النقل والتقليد، وكان من جملة براهينهم قولهم:

إن الأجسام وما يجري مجراها حادثة، والذي يدل على حدوثها استحالة خلوها من المعاني المتجددة، وما لم يخل من التجدد يجب أن يكون محدثاً، فإذا ثبت حدوثها فلتُقس على أفعالنا يُعلم أن لها محدِثاً.

ومنها:

العالم محدَثُ كائن بعد أن لم يكن، لأن جميعه فيه أثر الصنعة من طول وقصر، وصغر وكبر، وزيادة ونقصان، وتغيُّر من حال إلى حال، واستبدال ليل بنهار. والله تعالى خالق ذلك ومنشؤه ومصوره ومبدِؤه، لأن الصنع لا بد له من صانع، والكتاب لا بد له من كاتب، والبناء لا بد له من بانٍ.

وملخص ما نستفيده من هذه الكلمات والأدلة أنه لما كان العالم بما فيه من كائنات وجمادات وأجسام علوية وسفلية حادثاً، أي

مسبوقاً بالعدم وقد وُجد بعد أن لم يكن موجوداً، وكانت آثار الوجود بارزة فيه من طول وقصر وزيادة ونقصان وتغير حال واستبدال ليل بنهار وما شاكل ذلك من الآثار الكثيرة التي تدُلُّ دلالة واضحة على كونه حادثاً وُجد بعد العدم.

ولما كان التغير والتجدد الملازم لأجسام الكونية كلها شبيهاً جداً بالتغير والتجدد والتبدل الملازم لأفعالنا وحركاتنا، وكانت أفعالنا الخاصة- كما نعلم ونحس- غير موجودة من نفسها بل نوجدها نحن بأنفسنا، حيث نوجد الأكل والشرب والحركة والكتابة والقراءة وما شاكلها من أعمالنا اليومية وغير اليومية، علمنا أن هذا الكون بالأجسام الكائنة فيه وما يجري مجراها لا بدّ وأن أنشأه منشئ وصوَّره مصورٌ وخلقه خالق؛ ذلك هو الله تعالى عز شأنه، لأن الصنع لا بد له من صانع، والكتاب لا بدَّ له من كاتب والبناء لا بد له من بانٍ.

ونعود الآن إلى القرآن الكريم لنقرأ ما تضمّنه من براهين، ونقف على ما جاء في طياته من أدلة وشواهد على هذه الحقيقة الخالدة.

وكان اهتمام القرآن بهذا الأمر وبتكرير البراهين عليه بمختلف الوسائل والأساليب يفوق اهتمام كلّ الكتب السماوية المنزلة، بل لا نجد فيها ما نراه في القرآن من دلائل وشواهد، وإيقاظٍ وتنبيه للعقول الجامدة الجاحدة.

ولعل السبب في ذلك أن التوراة لم تكن مهتمة بإقناع الملحدين والمرتابين، لأنها كانت تخاطب أناساً يؤمنون بإله إسرائيل ولا يشكون في وجوده، فكان اهتمامها كلّه منصباً على تحذير هؤلاء من غضب الإله ومن عاقبة الإيمان بغيره وتذكيرهم بوعده ووعيده إن نسوا أو تماهلوا في واجباتهم.

وكذلك الأناجيل لم يكن بينها –حين ظهورها– وبين المذاهب الإسرائيلية نزاع على وجود الله تعالى، بل كان كلُّ الخلاف منصباً على نفاق الرؤساء والكهان واستغلالهم الدين والشعائر في الإثراء وكسب المال وتحصيل الجاه.

ولما ظهر الإسلام ونزل القرآن كان الناس في اختلاف كبير من هذه الناحية، فملحد ومشرك وتابع توراة وإنجيل، ولكلٍ منهم رأيه الخاص في الرب وطريقة العبادة، فكان لا بد للقرآن أن يولي هذه الناحية اهتمامه الكبير، لأن المخاطبين بالدعوة الإسلامية في حاجة ماسة لإقناعهم بالأمر وإرشادهم إلى طريق الصواب.

ثم لما كان الإسلام خاتم الأديان والقرآن خاتم الكتب وكان مقدّراً لهذا الدين وهذا الكتاب الاستمرار في تنظيم شؤون الناس من الناحية العقائدية والدنيوية إلى يوم القيامة، كان لزاماً على القرآن أن يعنى

بهذا الجانب كلّ العناية، فيقيم الأدلة الثابتة على وجود الله تعالى، ويلفت أنظار الملحدين والمشككين والجهال إلى خالق الكون وإلى آثاره العظيمة الجبارة الدالة على وجوده وكماله -عزّ وعلا- ويغلق الطريق دون تسرب الشبهات الطارئة بما يورده من أدلة العقل وشواهد الآثار.

وهكذا توجهت كلّ الآيات القرآنية المعنية بهذا الموضوع إلى عقل الإنسان توقظه من سباته برفق، وتسير به نحو الغاية بتوأدة، وترشده إلى الطريق السوي بلين ويُسر، وتبسط أمامه شواهد الخلق وآثار الصنعة بجلاء ووضوح، وتنبّهه على دقائق الكون وحقائقه بحكمة وهدوء، وتوصله إلى نتائج هذه الجولة الفكرية بكلّ أناة وقناعة ويقين.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١)، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٠.

لقد توجهت مجموعة من الآيات الشريفة إلى البرهنة على وجود الله تعالى من طريق التأمل في خلق الإنسان وما تضمنه هذا الخلق من تعقيدات وشؤون لا يمكن أن تكون بلا قدرة قادر وتصميم خالق.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (١).

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٢).

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ (٤).

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (٥).

فماذا تضمن خلق الإنسان من عجائب وغرائب وشواهد على وجود الله تعالى؟

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٥٨-٥٩.

(٢) سورة الطارق: الآيات: ٥-٧.

(٣) سورة الطور: الآية ٣٥.

(٤) سورة الروم: الآية ٢٠.

(٥) سورة النحل: الآية ٧٨.

يقول العلم الحديث:

إن الإنسان يتكون في أصله من خلية واحدة، وهذه الخلية تكوِّن الصلب من العظام ونصف الصلب من الغضاريف والرخو من اللحم، وهي نفسها تكوِّن اللزج من الأنسجة والسائل من الدماء، وتكوِّن- بالآخرة -الإنسان كلّه بكلّ أعضائه وأجزائه وجوارحه، ومنها ينشأ الطويل والقصير والأبيض والأسود على السواء. وهذه الخلية عبارة عن حياة معقدة أمكن للعلم أن يكتشف تراكيبها ويقيس حركتها ويحلل مادتها وطريقة انقسامها، أما سرّ الحياة فيها فهو ما وقف العلم والعلماء عنده يعترفون بأنَّ هنا الله.

وهذا الجنين في بطن أمِّه كيف يتغذّى وكيف يتنفس وكيف يقضي حاجاته وكيف تفرز أجهزته وكيف روعي في الحبل السرّي الذي يربطه بأمه ليتغذى به أن يحقق غرضه؛ بلا طول قد يسبب تخمر الغذاء فيه قبل وصوله إلى الجنين؛ أو قصر قد يؤدي إلى اندفاع الغذاء إليه بما قد يؤذيه؟

وعندما يبلغ الحمل نهايته تفرز غدد الأنثى إفرازات كثيرة متعددة الأغراض، منها ما يساعد على انقباضات الرحم وتقلصاته، ومنها ما يسهِّل عملية انزلاق الجنين، ومنها ما يعمل على مساعدة المولود

في أن يكون نزوله بالوضع الطبيعي. وباعتبار أن الثدي غدة فهو يفرز في نهاية الحمل وبدء الوضع سائلاً أبيض يميل إلى الصفرة، ومن عجيب الصنع أن هذا السائل عبارة عن مواد كيمياوية ذائبة تقي الطفل من عدوى الأمراض. وفي اليوم التالي للولادة يبدأ اللبن في التكوين، ومن تدبير المدبّر الأعظم أن يزداد مقدار اللبن الذي يفرزه الثدي يوماً بعد يوم، بل إن تركيب اللبن تتغير نسب مكوناته وتتركز مواده، فهو يكاد يكون ماءً به القليل من النشويات والسكريات في أول الأمر، ثم تتركز موادّه فتزيد نسبته النشوية والسكرية والدهنية فترة بعد أخرى.

وبتزايد نموّ الطفل تبدأ الأسنان في الظهور لتهيئة الطفل لتناول الطعام، والأسنان نفسها تعتبر آية من آيات وجود الله، فهي تختلف من قواطع في وسط الفم وقرب فتحته لقطع الطعام؛ إلى أنياب بجانبها للمعاونة في تمزيقه؛ ثم أضراس صغيرة فكبيرة على كلّ جانب لهرس وطحن الطعام. وقد حاول العلماء جاهدين عند محاولة صنع الأسنان الصناعية أن يستنبطوا طريقة أخرى أو يغيروا من وضع الأسنان فاعترفوا بقدرة الخالق عندما قرّروا أن أبدع وأكمل نظام يمكن للأسنان أن تكون عليه هو النظام الطبيعي، فلذلك صنعوا (أطقم) الأسنان على شاكلة الأسنان الطبيعية.

وعندما يحجب الطفل عن الرضاعة ويبدأ في الأكل تظهر آيات الله أكثر فأكثر بما يشاهد من جليل الصنع على تهيئة الإنسان بما يحقق له حفظ حياته، فنجد في فم الإنسان فتحات الأنف الداخلية وفتحة التنفس في أول القصبة الهوائية وفتحة البلعوم أو القناة الهضمية، ويقول العلم: إن أية ذرة من غبار تضل طريقها وتصل إلى القصبة الهوائية لا بد أن تطرد، وما السعال إلا محاولة لطرد غبار وصل إلى القصبة الهوائية، فكيف تدخل –إذن– البلعة الغذائية إلى فتحة القناة الهضمية ولا تدخل في فتحة القصبة الهوائية برغم تلاصق فتحتيهما، علماً بأن أي ذرة من الغبار– فضلاً عن الأكل والشرب– تقتحم القصبة الهوائية تفضي إلى الموت. نعم: تدفع اللهاة إلى أعلى عند البلع ويسد ما يسمى بـ(اللسان الصغير) طريق التنفس حتى تدخل البلعة الغذائية، ولم يحدث أن أخطأ هذا اللسان الصغير في عمله على الرغم من أنه ينظم المرور في هذه المنطقة وبين هذه الفتحات آلاف المرات في كلّ يوم.

ويتم هضم الغذاء أي تحويله من مواد صلبة معقدة إلى أخرى سائلة سهلة الامتصاص بعمليات دقيقة غاية الدقة تقدّم خير دليل على وجود الله، فكل ما يأكله الإنسان من صلب وجامد وسائل ولزج ومر وحلو وثقيل وخفيف وحرّيف ولاذع وساخن وبارد، كلّها تهضم

بمواد واحدة وطريقة واحدة، وهذه المواد التي يتغذاها الإنسان على اختلافها يتلقاها جسم الإنسان فيدفعها في طريقها المرسوم لتصب عليها الغدد إفرازاتها الحمضية وعصاراتها ذات التركيز المقدّر الذي لو قلّ قليلاً لما هضم الطعام ولو زاد زيادة طفيفة لاحترق الجسم.

وتدخل البلعة الغذائية في الفم فتبدأ أولى مراحل الهضم، وذلك بخلط الغذاء باللعاب الذي تفرزه الغدد اللعابية. وهذا اللعاب أول مراتب الهضم لاحتوائه على خميرة خاصة؛ ولمساعدته على خفض درجة حرارة الطعام إن كان ساخناً وكسر حدة برودته إن كان مثلجاً، كما أنه عامل أساسي في معادلة المواد الحريفة وتخفيف أثر التراكيب اللاذعة، وتنزلق بعد ذلك اللقمة أو البلعة مختلطة باللعاب إلى البلعوم فالمريء ثم المعدة التي تفرز حامض الكلورودريك ذا النسبة الخاصة المعدَّة بعناية، فتبلغ درجته من أربعة إلى خمسة في الألف، ولو زاد تركيز هذا الحامض على ذاك زيادة طفيفة لأحرق أنسجة المعدة حرقاً تاماً، وتتوالى بعد ذلك الإفرازات والعصارات في مختلف أجزاء الجهاز الهضمي الكبير، فهذه عصارة الأمعاء، وتلك إفرازات الصفراء والبنكرياس وغيرها، وكلها إفرازات تلائم حالة الغذاء الذي وصل إليها.

ولم تُعرف إلا منذ سنين قليلة وظائف الغدد المسماة بالغدد الصماء، تلك المعامل الكيماوية الصغيرة التي تمد الجسم بالتركيبات الضرورية، والتي تبلغ من قوتها أن جزءاً من بليون جزء منها لو اختل لأحدث آثاراً في الإنسان. وهي مرتبة بحيث إن إفراز كلّ غدة يكمل إفراز الغدة الأخرى، وإن أي اختلال في إفرازها قد يبلغ حدّ الخطورة إذا دام مدة من الزمن.

ومن أعجب ما يلفت النظر ما قرره العلم من أن للأمعاء الدقاق التي يبلغ طولها ستة أمتار ونصف حركتين لا إراديتين: الأولى حركة خلط مستمر هدفها مزج الطعام بمختلف عصارات الأمعاء وخمائرها مزجاً تاماً حتى يكون الهضم عاماً، والحركة الثانية: عرض الطعام المهضوم على أكبر مساحة ممكنة في الأمعاء كي تمتص منه أكبر قدر ممكن، ثم يأتي بعد ذلك دور الهضم في الأمعاء الغلاظ التي تفرز آخر أجزاء المواد المهضومة حتى لا تخرج من الجسم إلا الفضلات التي لا فائدة منها للإنسان.

وفي جسم الإنسان بالإضافة إلى هذه المواد الكيماوية المعقدة والمختلفة ميكروبات وجراثيم وبكتريا، ويقول المختصون: إنه إذا زاد عدد نوع منها عن المقدر له أو قلّ عمل نوع آخر أو اختلفت نسبة هذه الأحياء بعضها لبعض فإن ذلك يؤدي إلى الهلاك.

وهذه الأحياء تفرز إفرازات وتقوم بنفسها بتحويل الغذاء العسر إلى يسر والصعب إلى سهل والمعقد إلى بسيط والضار إلى نافع. ولمعرفة ماهية هذه الأحياء يكفي أن نعلم أن العلماء قد قدّروا عدد الموجود منها بالمعدة بحوالي مائة ألف في السنتيمتر المكعب الواحد.

ويغلف الجسم ستار محكم بديع هو الجلد، وعلى الرغم من كونه ذا مسام تفرز الماء إلى خارج الجسم فإنها لا تمتص الماء إلى داخل الجسم مطلقاً. ولما كان الجلد معرضاً لهجمات الميكروبات والجراثيم التي تسبح في الجو فقد تم تسليحه بإفرازات قادرة على قتل تلك الميكروبات، أما إذا تغلبت الجراثيم واجتازت منطقة الجلد فهنا تبدأ عملية حربية منظّمة تسرع إليها فرقة حراس الحدود وتضرب حصاراً شديداً حول عدوها المغير فإما أن تهزمه وتطرده خارج الجسم وإما أن تندحر وتموت هذه الفرقة فتتقدم فرقة أخرى وأخرى وهكذا حتى النصر، وهذه الفرق هي كريات الدم التي يبلغ عددها حوالي ثلاثين ألف بليون كرة بين بيضاء وحمراء، فإذا رأيت بثرة حمراء وفيها صديد على الجلد فاعلم أن صديدها أشلاء فرق ماتت في سبيل أداء واجبها، وأن الاحمرار هو كريات دم في صراع مع عدو غادر. كما أن من أهم وظائف الجلد حفظ الجسم عند درجة ثابتة من الحرارة.

وهكذا نجد فيما سلف وفي غيره عجائب أجهزة الإنسان في سمعه وبصره وشمه وذوقه وعظمه وعصبه وعضله ودورته الدموية وكليته ما يدهش الفكر ويقيم ألف دليل ودليل على أن هذا النظام الدقيق في هذا الجسم لم يخلق عشوائياً ولم يوجد صدفة ولم يحدث نتيجة حركة المادة الصماء العمياء المتخبطة.

واتجهت مجموعة أخرى من الآيات الشريفة إلى البرهنة على وجود الله تعالى من طريق بيان خلق الحيوان وما اشتمل عليه من دقة ونظام لا يمكن تحققهما عفوياً وعلى سبيل المصادفة والاحتمال مطلقاً.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ (٢).

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (٣).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ (٤).

(١) سورة النور: الآية ٤٥.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٤) سورة الملك: الآية ١٩.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

يقدّر العلماء فصائل الحيوان بأكثر من مليوني فصيلة.

والأماكن التي تعيش فيها هذه الفصائل مختلفة، منها البرّ ومنها البحر، وللبر والبحر مجالاته المختلفة لسكنى الحيوانات المختلفة، وقد اختلفت أجهزة هذه الحيوانات تبعاً لذلك اختلافاً كبيراً، بحيث تلائم البيئة التي تعيش فيها، والغذاء الذي يتوفر لها.

والفم هو أول مراحل الهضم، وقد صُمم تصميماً عظيماً يدل على عظمة مصمِّمه وموجده. فالحيوانات كالآساد والذئاب وما كان على شاكلتها من الحيوانات التي تعيش في الصحارى والفلوات ولا غذاء لها إلا ما تفترسه من كائنات لا بد من مهاجمتها، فقد زُوِّدتْ بأنياب قاطعة وأسنان حادة، ولما كانت في هجومها محتاجة إلى استعمال عضلاتها كانت لأرجلها عضلات قوية سُلِّحت بأظافر ومخالب حادة وحوت معدها الأحماض والمواد الهاضمة للحوم والطعام.

---

(١) سورة النحل: الآيات ٥-٨.

ومن الحيوانات أصناف تعيش على المراعي، ويُعنى بها الإنسان فيوفر لها غذاءً قوامه النباتات والشجيرات والحشائش، وقد صممت أجهزتها الهاضمة بما يتناسب مع البيئة، فأفواهها واسعة نسبياً، وقد تجردتْ من الأنياب القوية والأضراس الصلبة، وأُعطيتْ بدلاً منها الأسنان التي تكون ميزتها القضم والقطع، فهي تأكل الحشائش والنباتات بسرعة، وتبتلعها بسرعة دفعة واحدة. وقد صُنع لهذه الأصناف أعجب أجهزة للهضم، فالطعام الذي تأكله ينزل إلى الكرش وهو مخزن له، فإذا ما انتهى عمل الحيوان وجلس للراحة ذهب الطعام من الكرش إلى تجويف آخر، ثم عاد إلى الفم ليمضغ ثانية مضغاً جيداً، حيث يذهب بعد ذلك إلى تجويف ثالث ثم رابع. وكلّ هذه العملية الطويلة أعدت لفائدة الحيوان، ويقول العلم: إن عملية الاجترار ضرورية وحيوية، لأن العشب من النباتات العسرة الهضم لما يحتويه من الألياف (السليلوز) الذي يغلِّف جميع الخلايا النباتية، ولهضمه يحتاج الحيوان إلى وقت طويل جداً، فإن لم يكن مجتراً وبمعدته مخزن لضاع وقت طويل في الرعي يكاد يكون النهار كلّه دون أن يحصل الحيوان من تلك الأعشاب على ما يشبعه، ولأجهد نفسه في عمليات التناول والمضغ. وسرعة الأكل وتخزينه ثم إعادته بعد أن يحصل على شيء من التخمر هي التي تجعل من هذه المواد غذاءً نافعاً محققاً لأغراضه.

أما الجهاز الهضمي للطيور فإنه يختلف اختلافاً كبيراً عن جهاز الأصناف السالفة الذكر، إذ يمتد من رأس كلّ طائر جزء صلب خال من الأسنان عظمي التركيب هو المنقار الذي يستخدم في التغذية بدلاً من الفم والشفتين والأسنان عند سائر الحيوان، فيبتلع الطير غذاءه بلا مضغ.

وتختلف مناقير الطيور باختلاف أنواع غذائها، فالطيور الجارحة ذات منقار قوي مقوَّس حاد لتمزيق اللحوم، بينما تكون للبط والوز مناقير عريضة منبسطة كالمعلقة أو المغرفة توائم البحث عن الغذاء في الطين والماء، وعلى جانب المنقار زوائد صغيرة كالأسنان لتساعد على قطع الحشائش. أما الدجاج والحمام وباقي الطيور التي تلتقط الحب من الأرض فمناقيرها قصيرة مدببة بالشكل الذي يؤدي الغرض.

ومن أعمق النواحي التي نستطيع أن نلمس بها التصميم والتنظيم العظيم للخلق ما نشاهده في أرجل الحيوانات: فتلك التي من خصائصها الجر والجري والحمل نرى أن أرجلها قوية لتساعدها على الجري السريع؛ كما تنتهي كلّ رجل بحافر صلب يحمي الرجل مما قد يصيبها من كثرة الجري أو وعورة الطريق.

أما البقر والجاموس فأرجلها قصيرة قوية تنتهي بأظلاف صلبة مشقوقة لتساعدها على السير في الأراضي الزراعية اللينة، بينما أرجل الجمل تنتهي بأظلاف مشقوقة تحتها وسادة ليّنة سميكة تسمى (الخف) لتمنع القدم من الغوص في الرمال، وعلى أرجله كذلك أربطة من جلد خشن تحميه من الحصى والرمال عندما يبرك.

وأقدام الطيور تختلف كذلك باختلاف طبيعتها، فالطيور التي تتغذى على اللحوم نجد لقدميها مخالب قوية حادة؛ وهي منثنية بما يساعدها في القبض على الفريسة؛ كالصقر والنسر، وأما تلك التي تتغذى على الحبوب كالدجاج والحمام فأقدامها ذات أظافر مدببة تصلح للنبش في الأرض. والطيور التي يستلزم أمر تغذيتها البحث عن غذائها في الماء تتصل أصابعها بغشاء جلدي تستعمله كالمجداف في سباحتها.

ومن عجائب الخلقة الإلهية ما نجده في الضفدعة، فإن لسانها أطول لسان لكائن حي تقريباً، إذ يبلغ طوله نصف طولها، وقد أعدَّ بما عليه من مواد لزجة لصيد الذباب، فهي تقف حتى يقرب منها الذباب فإذا بها تمد لسانها ليلتصق به عدد من الذباب الذي يعتبر غذاءها الرئيس.

ومن أعجب ما يلاحظ في الضفدعة أنّها لما لم يكن لها عنق تستطيع أن تحرك رأسها بواسطته لترى ما حولها فقد هُيئت لها عيون بارزة تتحرك في كلّ الاتجاهات.

ومن طريف ما يؤكده العلم حالياً أن معظم الحيوانات الثديَّة تمتاز بحاسة شم قوية حادة وحاسة بصر ضعيفة، بخلاف الطيور فإنها ذات بصر قوي وشم ضعيف، وما ذلك إلا لأن الأولى تهتدي إلى غذائها الذي يكون دائماً على الأرض في طريقها بحاسة الشم؛ بينما الطير وهو في السماء بحاجة إلى حدة في بصره ليرى غذاءه من بعد مرتفع.

وللسمك حاسة غريبة هي حاسة تفادي الاصطدام بالصخور والحواجز في ظلمات البحار، وقد قرّر العلماء بعد دراستهم لهذه الظاهرة أنهم رأوا في السمك خطّاً طولياً على جانبيه، وهذا الخط عندما يلاحظ بالمجهر يُرى أنه مجموعة أعضاء دقيقة حساسة إلى درجة كبيرة، تحس بوجود حاجز أو صخرة من اختلاف ضغط الماء نتيجة اصطدامه بالحاجز، فتغيِّر السمكة طريقها.

وأما الخفاش فقد أدهش العلماء أمره، فهو عندما يطير في ظلام الليل لا يصطدم بمبنى أو شجرة أو أي شيء من الأشياء البارزة في طريقه وقد قام أحد العلماء الإيطاليين بالتحقق من هذه القدرة؛

فعلق في سقف غرفة عدداً من الحبال؛ وفي نهاية كلّ حبل جرس صغير يدق إذا لامس الحبل شيء؛ ثم أعتم الغرفة إعتاماً كاملاً وأطلق خفاشاً فيها، وطار الخفاش ودار في الغرفة مراراً ولم يدق أي جرس، ومعنى ذلك أنه لم يصطدم بأي حبل من تلك الحبال المعلقة في الغرفة. وكان خلاصة ما استنتجه العلماء من هذه الظاهرة أن هذا الحيوان يرسل اهتزازات تردُّ إليه بالتصادم مع أي جسم يقابله فيحس به، وأن طريقة معرفته وإحساسه بالعقبات هي نفس طريقة الرادار بالذات.

وأما الجمل فهو كذلك مفعم بآيات العظمة الإلهية؛ بالشكل الذي يعطينا الفهم الكامل لما أرشدنا الله تعالى إليه بقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١).

ولما كان مجال عمل هذا الحيوان وعيشه هو الصحراء فقد خُلق قادراً على اكتناز ما يكفيه من الطعام والشراب لمدة طويلة في سنامه، لكي يستطيع مجابهة جوع الصحراء وعطشها، كما خلقت له- لهذا الغرض- تلك الأهداب الطويلة التي تلتف حول عينيه والتي هي أشبه ما يكون بشبكة تحمي عينيه من ذرات الرمال عند هبوب العواصف

(١) سورة الغاشية: الآية ١٧.

الرملية، وفي الوقت نفسه يستطيع الرؤية من خلال تلك الشبكة فلا يضطر إلى إقفال عينيه كما نفعل عند انتشار الغبار.

وكذلك رجله ذات الخف الملائم للسير في الرمل بلا غوص فيه، وأنفه الذي يستطيع التحكم في فتحته أثناء العواصف ليمنع دخول الرمال فيه، وشفته العليا التي خلقت مشقوقة لكي تساعده على أكل نباتات الصحراء التي غالباً ما تكون أشواكاً.

وأما النمل ففيه من آيات الله الشيء الكثير، وقد أوتي من الفهم والصبر والحس ما لا يتصوره المتصور عند مشاهدة حجمه وجسمه الصغير، ولعل مدينته من أبرز المدن التي تستحق الدراسة والإمعان، لما فيها من دقة بالغة وتعاون عجيب ونظام رتيب متناه في الدقة والإدراك.

وللحيوان- بعد ذلك أو قبله- لغة للتفاهم والتخاطب وكان القرآن المجيد قد لفت الأنظار إلى ذلك حين نزوله، حيث جاء فيه قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (١)، ثم جاء العلم بعد نزول هذه الآية بقرون وقرون ليثبت هذه الحقيقة بالمشاهدة والإطلاع.

---

(١) سور النمل: الآية ١٨.

ولغة كلّ فصيلة من فصائل الحيوانات تختلف عن الأخرى، فهذه هي الدجاجة- وهي أكثر الحيوانات معاشرة لنا- تصدر في بعض الأحيان أصواتاً خاصة مميزة، فنرى صغارها تقبل في سرعة تلتقط معها الحب، ثم تصدر أصواتاً أخرى خاصة فإذا بالصغار تهرول إلى العش في لحظة.

والنحلة إذا عثرت على حقل مزهر عادت إلى الخلية، وما أن تتوسطها حتى تتحرك بطريقة خاصة فإذا بالنحل يندفع إليها ويسير خلفها إلى حيث تهديه النحلة إلى الزهور.

ويقول أحد العلماء: إنه أجرى اختباراً على النمل، حيث شاهد نملة خارجة لوحدها من جحرها، فأخذ ذبابة ولصقها على فلينة بدبوس وألقاها في طريق النملة، فما أن عثرت عليها حتى أخذت تعالجها بفمها وأرجلها مدة تزيد على العشرين دقيقة تيقّنت بعدها عن عجزها، فعادت أدراجها إلى جحرها، وبعد ثوان معدودة خرجت النملة تتقدم مجموعة من النمل من أخواتها حتى انتهت بهم إلى الذبابة، فوقعوا عليها يمزقونها تمزيقاً، وعاد النمل إلى جحره وكلّ منه يحمل جزءاً من الذبابة. فالنملة الأولى كانت قد رجعت إلى زميلاتها ولم يكن معها شيء قط فكيف استطاعت أن تخبر باقي النمل بأنها وجدت طعاماً سائغاً ما لم يكن قد تم ذلك بلغة خاصة؟

وقد لوحظ أن أسراب الفيلة لا تكف لحظة عن غمغمة طالما هي تسير في رهط، فإذا تفرقت الجماعة وسار كلّ فيل على حدة انقطع الصوت.

وأصوات الغراب متميزة تمييزاً واضحاً، فنعيبه أكبر دليل على الخطر، وهو يصدره ليحذر أبناء جنسه، بينما يصدر في أثناء المرح أصواتاً أخرى تقرب من القهقهة.

وليست اللغة وقفاً على أنواع الحيوان السالفة الذكر، بل إن لكلّ صنف من أصناف الحشرات لغة أيضاً، فالعنكبوت -مثلاً- يتخذ من خيوطه وسيلة للتحدث مع أنثاه، فيقف الذكر على طرف الشبكة ويجذبها؛ فتخرج الأنثى لاستقباله أو ترد عليه بأن تجذب هي الخيوط بطريقة مخالفة؛ وكأنهما يتبادلان حديثاً تلفونياً خاصاً.

وإذا عدنا إلى الدجاج لنقرأ في دنياه شواهد الصنعة الإلهية رأينا العجب العجاب، وحسبنا من كلّ ذلك أن نطّلع على الحقيقة الآتية:

خطر لعالم أمريكي أن يستفرخ البيض بلا حضانة الدجاج، وذلك بأن يضع البيض في نفس الحرارة التي يحصل عليها البيض من الدجاجة الحاضنة له، فلما جمع البيض ووضعه في جهاز التفريخ نصحه فلاح أن يقلب البيض بين آونة وأخرى؛ إذ إنه رأى الدجاجة

تفعل ذلك، فسخر منه العالم وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل منه حرارة جسمها، أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع حرارة ثابتة لكلّ أجزاء البيضة. واستمر هذا العالم في عمله حتى جاء أوان الفقس وجاوز ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة، وأعاد التجربة بعد أن طبق كلام الفلاح فصار يقلب البيض، حتى إذا ما جاء موعد الفقس خرجت الفراريج.

وآخر تعليل علمي لتقليب البيض أن الفرخ حينما يخلق في البيضة ترسب المواد الغذائية في الجزء الأسفل من جسمه، فإذا بقي بدون تحريك تتمزق أوعيته، ولذلك فإن الدجاجة لا تقلب البيض في اليوم الأول والأخير، وهل يمكن للدجاجة أن تفهم هذه الأسرار لولا الإلهام الذي عجز الإنسان عن معرفته؟

أما عالم الحشرات فإن التأمل فيه مما يثير الدهشة البالغة والعجب الكبير، ولعل وقفة صغيرة عند (المعرفة الغريزية) لدى الحشرات تكفينا عناء التفصيل والتطويل:

إن (حشرة أبي دقيق) تختار أوراق الكرنب لتبيض عليها مع أنها لا تتغذى على الكرنب ولا تحتاج له، وإنما تقودها إلى ذلك معرفة غريزية باطنة فالبيض سوف يفقس وسوف تخرج ديدان صغيرة لا تأكل

سوى الكرنب، فيجب أن تبيض هذه الحشرة على ورق الكرنب ليجد الصغار ما يأكلونه. ومع ذلك فحشرة أبي دقيق لا تعرف هذه المسألة معرفة عقلية واعية.

وزنبور الطين يصطاد الدودة ثم يبيض عليها بيضة واحدة، ثم يضعها في العش ويمضي باحثاً عن حصاة، حتى إذا وجدها حملها بين ذراعيه وأغلق بها باب العش. وتفقس البيضة لتجد اليرقة الصغيرة طعامها جاهزاً بين يديها.

والبعوضة التي تضع بيضها على سطح الماء فتزود كلّ بيضة بكيسين من الهواء تطفو بهما على السطح، هل تعرف قوانين أرشميدس؟

والحشرة التي يسمونها في علم الحشرات (قاذفة القنابل) والتي تتهادى أمام الحيوانات المفترسة دون خوف أو وجل، حتى إذا فتح أحدها فمه ليلتهمها ضغطت على كيس في بطنها فامتزجت في لحظة إفرازات ثلاثة غدد تحتوي على مادة الهيدروكينون وفوق أكسيد الهيدروجين وأنزيم خاص. ويؤدي اختلاط الثلاثة إلى تفاعل شديد وخروج غاز لاسع كريه الرائحة فيفرّ الحيوان المفترس رعباً. هل أخذت هذه الحشرة دبلوماً في الكيمياء من كامبريدج؟

والحشرات التي تنصب الفخاخ من خيوط الحرير.

والحباحب التي تضيء بالليل لتجذب البعوض ثم تأكله.

وحشرات الماء التي تسبح في الماء بأذرع كالمجاذيف وتطير في الهواء بأذرع مجنحة.

وخلاصة القول: إن في دنيا الحيوان من العجائب والغرائب- وكلّها شواهد الخلق والإبداع والصنع المتقن- ما لا يمكن حصره بصفحات كهذه الصفحات، وما ذاك إلا ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (١) تعالى عما يقول المنكرون الجاحدون علواً كبيراً.

وهناك مجموعة أخرى من الآيات المباركة تكفلت البرهنة على وجود الله وإيجاده من طريق الحث على التأمل في دنيا النبات؛ وإنزال الماء من السماء، وعجائب الأفلاك والسموات والأرض، حيث لا يمكن وجود كل ذلك وخضوعه لمثل هذه السنن والقوانين من تلقاء نفسه.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ (٢).

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ (٣).

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٦٣-٦٥.

(٣) سورة الواقعة: الآيتان ٧١-٧٢.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (٢).

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ (٣).

النبات عالم قائم بذاته، ما زال العلماء المختصون به مستمرين على دراسته، وما زالوا يشاهدون في كلّ يوم جديداً لم تسبق لهم معرفته.

وفصائل النبات تقرب من نصف مليون في العدد، وهي مختلفة في التراكيب والتزاوج والأعمار إلى أبعد الحدود. ومن النبات- من ناحية العمر- ما يعمّر أياماً، ومنه ما يعمّر سنين، ومنه ما يعمّر أضعاف أضعاف عمر الإنسان.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

(٢) سورة طه: الآية ٥٣.

(٣) سورة النمل: الآية ٦٠.

وينبت النبات عموما من بذرة تتوافر لها ظروف خاصة أهمها حيوية الأجنة فيها، وتحافظ البذور على حيويتها لمدة طويلة، ويجب توافر الماء الضروري للنبات والحرارة المناسبة- وكلّ بذرة تنبت في درجة حرارة معينة-. والهواء ضروري للنبات لأنه كائن حي يعيش ويتنفس.

وإذا استنبتت البذرة وخرج الجنين الحي مكوناً جذراً صغيراً بدأ يتغذى من الغذاء المدخر في البذرة حتى يستطيل عوده ويضرب في الأرض ليأكل منها، شأنه في ذلك شأن الجنين في الإنسان والحيوان يتغذى من أمه وهو في بطنها، ثم من لبنها، ثم يستقل عنها ويعتمد على نفسه في غذائه، فهل غير الله أودع في البذرة الحياة؟.

أما جهاز النبات الغذائي فيعتمد أولاً على الجذور، وهي أول أجزاء النبات الغذائي، ويختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيّناً بالنسبة إلى اختلاف حاجات النبات، فهناك الجذور الوتدية والدرنية والليفية الهوائية والتنفسية، وكلّ هذه الأشكال والاختلافات إنما خلقت لتتواءم مع إمكان حصول النبات على حاجته من الغذاء.

وتنمو الجذور وعليها الشعيرات الجذرية التي تمتص المحاليل الأرضية فتنتقل العصارة إلى أعلى، وبهذه الطريقة يتغذى النبات وينمو، ولا بد

لنموه من وجود الضوء والماء والعناصر الأخرى الضرورية كالكاربون والأوكسجين والفسفور والكبريت وعديد غيرها .

والنبات يتنفس فيأخذ الأوكسجين ويطرد ثاني أوكسيد الكاربون، مثله في ذلك مثل الإنسان والحيوان، ويصحب تنفس النبات ارتفاع في درجات الحرارة، ويتم التنفس ليلاً ونهاراً إلا أنه في النهار غير ظاهر النتيجة بالنسبة لعملية التمثيل الكاربوني التي يجريها النبات بسرعة أكثر من عملية التنفس، فيخرج الأوكسجين ويمتص ثاني أوكسيد الكاربون.

وقد دلّت الأبحاث على أن عملية التمثيل الكاربوني كفيلة وحدها باستهلاك ثاني أوكسيد الكاربون الموجود في الكون لو أن الأمر اقتصر عليها، ولكن الخالق العظيم جعل الكائنات الحية الأخرى تخرج في تنفسها ثاني أوكسيد الكاربون؛ كما أن الأجسام الميتة في تحللها تخرج هذه المادة أيضاً؛ وكذلك بعض التفاعلات الأخرى.

ولم يترك أمر استهلاك وإنتاج هذه المادة حراً يحتمل الزيادة والنقصان، بل قضت حكمة الخالق أن تكون نسبة ثاني أوكسيد الكاربون في الجو دائماً من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كلّ عشرة آلاف جزء هواء.

وإن هذه النسبة ينبغي أن تكون ثابتة على الدوام لاستمرار عمران الكون، ولم يحدث قط- مهما اختلفت عمليات الاستهلاك وعمليات الإنتاج- أن اختلفت هذه النسبة أبداً.

أما الماء فهو في طليعة المواد الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها مطلقاً لسائر الكائنات الحية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (١)، فهو مصدر رئيس من مصادر الحياة، وقد حث القرآن المجيد على التأمل في هذا السائل العظيم وضرورته وأهميته، بل طلب من الناس أن يدركوا من إيجاد الماء وتهيئته على سطح الكرة الأرضية دليل وجود الخالق المبدع وإيجاده للكائنات كلّها.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٦٨-٧٠.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٤.

ويقول العلماء: إن البحار أساس الماء العذب ومصدره، وماء البحر مالح لا تطيق الكائنات الحية الأرضية استعماله، وبالتالي لا يصلح للمحافظة على حياتها، ولذلك هيأ الله تعالى لعباده وسائر مخلوقاته عملية التصفية والتقطير بواسطة المطر، وأصبح المطر هو الناقل لماء البحر من واقعه المالح الأول إلى واقعه العذب الجديد.

وهكذا أنزل الله تعالى من السماء ماءاً ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ (١)، ولو شاء لأبقاه أجاجاً مالحاً على حقيقته الأولى كما قال جلّ وعلا. هذا مع العلم بأن الملوحة ضرورية لماء البحر ضرورة العذوبة لنا، وذلك لأن البحر وإن كان من حيث العمق والسعة بالغاً حداً كبيراً جداً؛ ولكنه – على الرغم من ذلك- مغلق محدود وماؤه راكد واقف، ولو لم يكن مالحاً لتعفن وفسد على مرور السنين والأعوام.

والبحار آية من آيات الله الكبرى، فهي تشغل ثلاثة أربا ع سطح الأرض، وفيها من أصناف الكائنات الحية أكثر مما هو موجود على اليابسة، وتختلف هذه الكائنات الموجودة فيها اختلافاً كبيراً، ابتداءً من تلك الحيوانات الصغيرة التي يوجد في المتر المكعب الواحد عشرات

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

الألوف منها، وانتهاءً بتلك الحيتان الضخمة المزودة بالأنابيب الحادة والقوى غير المتصورة التي تستطيع بواسطتها مهاجمة المراكب بل تحطيمها، وصدق العلي العظيم حيث يقول: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(١).

ولو عدنا إلى التأمل في هذه السماء الزرقاء المحيطة بنا وإلى ما يسبح فيها من كرات وكواكب وإلى ما يتلألأ على صفحتها من نجوم وأقمار. لو تأملنا وفكرنا في ذلك لسيطر علينا العجب ولعاد الطرف خاسئاً وهو حسير، ولهذا نجد القرآن المجيد يحثنا على النظر في ذلك لنصل منه إلى النتيجة الخالدة الكبرى؛ وهي أن كلّ هذه العجائب لا يمكن أن توجدها صدفة متخبطة أو احتمال موهوم أو مادة عمياء:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾(٢).

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٣).

---

(١) سورة النحل: الآية ١٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠١.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[(١)].

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[(٢)].

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[(٣)].

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[(٤)].

إن مجموعتنا النجمية تشمل مائة بليون نجمة تقريباً، منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، ومنها ما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، و منها ما يحس العالم الخبير بوجوده دون أن يستطيع رؤيته، هذه كلّها يعج بها الفلك الغامض البعيد، ولا يوجد أي احتمال لاقتراب مجال مغناطيسي لنجم من مجال نجم آخر؛ أو اصطدام كوكب بآخر؛ إلا كما يحتمل تصادم باخرة في البحر الأبيض المتوسط بأخرى في المحيط الهادي يسيران باتجاه واحد وسرعة واحدة.

ويقرّ العلم أن سرعة الضوء هي (١٨٦) ألف ميل في الثانية، ومن النجوم ما ترسل ضوءها فيصل إلينا بسرعة، ومنها ما يصل في

---

(١) سورة ق: الآية ٦.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٤) سورة فاطر: الآية ١٣.

شهور، ومنها ما يصل في سنين، فكم بذلك يبلغ اتساع الكون؟

فهل هذا كله حدث مصادفة وبلا قصد وتدبير؟ وهل هذا كلّه مستغن عن الموجد؟ وهل باستطاعة المادة العمياء الصماء إيجاد كلّ ذلك وتنظيمه بهذه الدقة؟

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١).

خُلِقت الأرض، وكلُ ما فيها ينطق بكونها ملائمة للحياة.

تدور حول نفسها فيكون في ذلك تتابعُ الليل والنهار.

وتدور حول الشمس فيكون في ذلك تتابع الفصول، الذي يؤدي بدوره إلى زيادة المساحة الصالحة للسكنى فيها؛ ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية.

ويحيط بها غلاف غازيّ يشتمل على الغازات اللازمة للحياة، ويمتد حولها إلى ارتفاع يزيد على (٥٠٠) ميل، ويبلغ هذا الغلاف من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يومياً إلينا منقضّة بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية، وهذا الغلاف الجوي الذي

---

(١) سورة لقمان: الآية ١١.

يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات؛ حيث يمكن أن يتكاثف مطراً يحيي الأرض بعد موتها. والمطر مصدر الماء العذب؛ ولولاه لأصبحت الأرض جرداء خالية من كلّ أثر للحياة.

ويمتاز الماء بخواص مهمة تعمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والأنهار، ولا سيما في المناطق التي يكون شتاؤها قارصاً وطويلاً، فالماء يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة. ويطفو الجليد المتكون في البحيرات والأنهار على سطح الماء لخفته النسبية فيهيئ بذلك الفرصة لاستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة. وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار.

أما الأرض اليابسة فهي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات، فالتربة تحوي العناصر التي يمتصها النبات ويتمثّلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الإنسان والحيوان، ويوجد كثير من المعادن قريباً من سطح الأرض، مما هيأ السبل لقيام الحضارة.

ولو أن الأرض كان قطرها ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها؛ ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حدّ الموت.

أما لو كان قطرها ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها؛ وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه، وانخفض -تبعاً لذلك- ارتفاع غلافها الهوائي، وزاد الضغط الجوي من كيلو غرام واحد إلى كيلو غرامين على السنتيمتر المربع، ويؤثر كلّ ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض، فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعاً كبيراً وتنقص مساحة الأراضي الصالحة للسكنى نقصاً ذريعاً، وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية منفصلة أو في أماكن نائية يتعذر بينها الاتصال..

ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بُعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية؛ وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول، وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء، وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض.

ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثالها اليوم؛ وتضاعفت

سرعتها المدارية حول الشمس ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة.

وهكذا أصبحت الأرض- بحجمها وبعدها عن الشمس وسرعتها في مدارها – تهيئ للإنسان أسباب الحياة. فهل كان ذلك كلّه محض مصادفة؟؟

ثم إن هذه العجائب التي يغص بها الكون كمنحنيات التوزيع ودورة الماء في الطبيعة ودورة ثاني أوكسيد الكاربون فيها وعمليات التكاثر العجيبة وعمليات التمثيل الضوئي؛ ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية؛ وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية، وهذا الانتظام في ظواهر الكون؛ والعلاقات السببية؛ والتكامل والتوافق والتوازن التي تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر. إن هذه العجائب هل قامت على أساس التخبط والصدفة؟!

وهذه الجزئيات البسيطة التي ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ؛ وقد نشأت منها ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة؛ هل وُجدت صدفة؟؟

وهذه العناصر الكيماوية المعروفة التي بلغ عددها نيفاً ومائة هل لاحظ الإنسان مقدار ما بينها من أوجه التشابه والاختلاف؟ فمنها

الملون وغير الملون، وبعضها غاز يصعب تحويله إلى سائل أو صلب، وبعضها سائل، وبعضها صلب يصعب تحويله إلى سائل أو غاز، وبعضها هشٌ والآخر شديد الصلابة، وبعضها خفيف والآخر ثقيل، وبعضها موصل جيد والآخر رديء التوصيل، وبعضها مغناطيسي والآخر غير مغناطيسي، وبعضها نشيط والآخر خامل، وبعضها يكوِّن أحماضاً والآخر يكوِّن قواعد، وبعضها معمّر والآخر لا يبقى إلا لفترة محدودة من الزمان. ومع ذلك فإنها جميعاً تخضع لقانون واحد هو (القانون الدوري).

إن الفرق بين ذرة عنصرٍ معين وعنصرٍ آخر يرجع إلى الفرق في عدد البروتونات والنيوترونات التي بالنواة، وإلى عدد وطريقة تنظيم الإلكترونات التي في خارج النواة، وعلى ذلك فإن ملايين الأنواع من المواد المختلفة سواءً كانت عناصر أم مركبات، تتألف من جزئيات كهربية ليست في الواقع إلا مجرد صور أو مظاهر من الطاقة. والمادة بوصفها متكونة من مجموعات من الجزئيات والذرات، والجزيئات والذرات ذاتها، والإلكترونات والنيوترونات التي تتألف منها الذرات، والكهرباء والطاقة ذاتها، إنما تخضع جميعاً لقوانين معينة، بحيث يكفي عدد قليل من ذرات أي عنصر للكشف عنه ومعرفة خواصه...

فهل تم كلّ ذلك مصادفة؟ وهل وجدت القوانين والسنن الكونية من تخبط المادة وعشوائيتها؟؟

إننا بعد أن آمنّا – عن يقين- بأن هذا الكون بكلّ ما فيه ومن فيه موجود ماثل أمامنا، وأنه قد وُجد في وقت معين من الأوقات المغرقة في القدم، وأنه لا يمكن أن يكون العدم بما هو عدمٌ موجداً له، بل لا بد أن يكون له موجد، خلقه بعد أن لم يكن فمن هو هذا الموجد؟

المادة.. أم الله تعالى.

ونسأل أولاً:

كيف وُجدت المادة ومَنْ أوجدها؟

ويقول الماديون في الإجابة على هذا السؤال:

إن المادة أزلية موجودة منذ الأزل فليست بحاجة إلى خلق وخالق.

وأصبح نقض هذه الدعوى –بوسيلة العلم- سهلاً يسيراً، لأن العلم قد أثبت وثبت لديه بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية، بحيث

تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة، ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذٍ لن تكون هنالك عمليات كيماوية أو طبيعية، ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون. ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير في طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كلّ نشاط في الوجود.

ويستخدم في الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الأرض بدرجات متفاوتة من الدقة، ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة إلى حد كبير، وهي تشير إلى أن الكون قد نشأ منذ خمسة بلايين سنة، وعلى ذلك فإن هذا الكون ليس بأزلي، إذ لو كان أزلياً لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية، ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية.

أما الرأي الذي يقول بأن هذا الكون دوري أي أنه ينكمش ثم يتمدد ثم يعود فينكمش من جديد فإنه رأي لم يقم لدى العلماء على صحته دليل، ولا يمكن أن يعتبر رأياً علمياً، وتؤيد قوانين الديناميكا الحرارية والأدلة الفلكية والجيولوجية الكلمة القائلة: (لقد خلق الله في البداية السموات والأرض).

إن الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الأحياء دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمانٍ بدأ من لحظة معينة، فهو – إذن- حدث من الأحداث.

وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد سائرة في سبيلها نحو الزوال أو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضاً، أنها ليست أزلية، إذ إنَّ لها بداية. وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة ولا تدريجية، بل وجدت بصورة فجائية، وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ خُلق يخضع لقوانين وسُنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان.

ومنذ مائة سنة تقريباً رتَّب العالم الروسي (مانداليف) العناصر الكيماوية تبعاً لتزايد أوزانها الذرية ترتيباً دورياً، وقد وجد أن العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلةً واحدة ويكون لها خواص متشابهة، فهل يمكن إرجاع ذلك إلى مجرد المصادفة؟.

إن اكتشاف مانداليف لا يطلق عليه اسم (المصادفة الدورية) ولكنه يسمى (القانون الدوري).

وهل يمكن أن نفسّر على أساس المصادفة ما وصفه وتوصل إليه العلماء من تفاعل ذرات عنصر (أ) مع ذرات عنصر (ب) وعدم تفاعلها مع عنصر (ج)؟

كلا. إنهم قد فسروا ذلك على أساس أن هنالك نوعاً من الميل أو الجاذبية بين جميع ذرات عنصر (أ) وجميع ذرات عنصر (ب)، ولكن هذا الميل والجاذبية منعدم بين ذرات عنصر (أ) وذرات عنصر (ج).

وقد عرف العلماء كذلك أن سرعة التفاعل بين ذرات المعادن القلوية والماء مثلاً تزداد بازدياد أوزانها الذرية. بينما تسلك عناصر الفصيلة الهالوجينية سلوكاً مناقضاً لهذا السلوك كلّ المناقضة، ولا يعرف أحد سبب هذا التناقض، ومع ذلك فإن أحداً لم يرجع ذلك إلى محض المصادفة؛ أو يظن أنه ربما يتعدل سلوك هذه العناصر بعد شهر أو شهرين، أو تبعاً لاختلاف الزمان أو المكان، أو يخطر بباله أن هذه الذرات ربما لا تتفاعل بنفس الطريقة أو بطريقة عكسية أو طريقة عشوائية.

وقد أثبت اكتشاف تركيب الذرة أن التفاعلات الكيماوية التي نشاهدها والخواص التي نلاحظها ترجع إلى وجود قوانين خاصة وليس محض مصادفة عمياء.

فهل يتصور عاقل مفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟! أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟!. لا شك أن الجواب سوف يكون سلبياً، بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة فإن كلّ ذلك يتم طبقاً لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها.

وإذا كان هذا العالَم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي يخضع لها فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي.

ولقد أيدت دراسة الحرارة هذه الآراء وساعدتنا على التمييز بين الطاقة الميسورة والطاقة غير الميسورة، وقد وُجد أنه عند حدوث أي تغييرات حرارية فإن جزءاً معيّناً من الطاقة الميسورة يتحول إلى طاقة غير ميسورة، وأنه لا سبيل إلى أن يسير هذا التحول في الطبيعة بطريقة عكسية، وهذا هو القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية.

ولما كانت المادة حادثة غير أزلية –كما أسلفنا– فلا بد لها من محدث، لأن الشيء لا يمكن أن يوجَد من نفسه أو يوجِد نفسه بنفسه، بل ذلك محال عقلاً.

وإذن، فإن الله تعالى هو خالق المادة وموجدها بلا ريب.

ولو وقفنا قليلاً عندما يسمى بـ(تطور المادة) وفكرنا في إمكان هذا التطور من طريق المصادفة لوجدنا أن المصادفة كسببٍ لخلق وإيجاد الكائنات الحية وسائر الموجودات لا يمكن للعقل أن يقبلها أو يبني واقعاً عليها.

ولقد تقدمت دراسة نظرية المصادفة والاحتمال من الوجهة الرياضية تقدماً كبيراً حتى أصبحنا قادرين على التنبؤ بحدوث بعض الظواهر التي نقول أنّها تحدث بالمصادفة؛ والتي لا نستطيع أن نفسر ظهورها بطريقة أخرى، وقد صرنا بفضل تقدم هذه الدراسات قادرين على التمييز بين ما يمكن أن يحدث بطريق المصادفة وما يستحيل حدوثه بهذه الطريقة. ولننظر الآن إلى الدور الذي تستطيع أن تلعبه المصادفة في نشأة الحياة:

إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية، وهي تتكون من خمسة عناصر هي: الكاربون، والهيدروجين، والنيتروجين، والأوكسجين، والكبريت. ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البرووتيني الواحد ٤٠ ألف ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيماوية في الطبيعة قد تجاوز المائة، وهي موزعة توزيعاً عشوائياً فإن احتمال اجتماع هذه

العناصر الخمسة لكي تكوّن جزيئاً واحداً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء؛ ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري (تشالزبوجين) بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة (١) إلى رقم (١٠) مضروباً في نفسه (١٦٠) مرة، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات. وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كلّ هذا الكون بملايين المرات، ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدّرها العالم السويسري المار الذكر بأنها (١٠) مضروبة في نفسها (٢٤٣) مرة من السنين.

ومع ذلك كلّه فإن البروتينات ليست في واقعها سوى مواد كيماوية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا نعلم كنهه أبداً.

وتوضيحاً لذلك يقول الأستاذ أ. كريسي موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك: (لنفرض أن معك كيساً يحوي مائة قطعة رخام تسع وتسعون منها سوداء وواحدة بيضاء، والأن هُزَّ الكيس وخذ منه واحدة: إن فرصة سحب القطعة البيضاء هي بنسبة واحد إلى مائة، والآن أعد قطع الرخام إلى الكيس وابدأ من جديد: إن فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد إلى مائة، غير أن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد إلى عشرة آلاف.

والآن جرب مرة ثالثة: إن فرصة سحب تلك القطعة البيضاء ثلاث مرات متوالية هي بنسبة مائة مرة عشرة آلاف أي بنسبة واحد في المليون.

ثم جرب مرة أخرى أو مرتين تصبح الأرقام فلكية.

إن قصدي من هذه المعالجة للصدفة هو أن أبين للقارئ بطريقة علمية واضحة تلك الحدود الضيقة التي يمكن للحياة بينها أن توجد على الأرض، وأن أثبت بالبرهان الواقعي أن جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد في وقت بمجرد الصدفة).

إننا إذا نظرنا –بإمعان– إلى العالم المادي، من الذرات المتناهية في الصغر إلى المجرات المتناهية في العظم، وجدنا كلّ شيء يجري بقوانين وبحساب وانضباط.

حتى الألكترون لا ينتقل من مدار إلى مدار في فلك النواة إلا إذا أعطى أو أخذ حزماً من الطاقة تساوي مقادير انتقاله وكأنه مسافر لا يستطيع أن يستقل واسطة لسفره إلا إذا دفع ثمن التذكرة.

وميلاد النجوم وموتها له قوانين وأسباب.

وحركة الكواكب في دولاب الجاذبية لها معادلة.

وتحوّل المادة إلى طاقة وتحوّل جسم الشمس إلى نور له معادلة.

وانتقال النور له سرعة معينة.

وكلّ موجة لها طول ولها ذبذبة ولها سرعة.

كما أن كلّ معدن له طيف وله خطوط امتصاص مميزة يعرف بها في جهاز المطياف.

وكلّ معدن يتمدد بمقدار ويتقلص، بالحرارة والبرودة. وكل معدن له كتلة وكثافة ووزن ذري ووزن جزيء وثوابت وخواص.

وأينشتين أثبت لنا أن هناك علاقة بين كتلة الجسم وسرعته، وبين الزمن ونظام الحركة داخل مجموعة متحركة، وبين الزمان والمكان كما أن الكهرباء تتولد بقوانين.

والزلازل التي تبدو أنواعاً من الفوضى لها هي الأخرى نظام وأحزمة وخطوط تحدث فيها.

وبذلك يصبح الكون كلّه وكأنه جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع.

إن حجم الكرة الأرضية وبُعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض، وكمية الماء، ومقدار ثاني أوكسيد الكاربون، وحجم النتروجين، وظهور الإنسان وبقاءه على قيد الحياة، كلّ أولاء تدل على خروج النظام من الفوضى، وعلى التصميم والقصد. كما تدل على أنه طبقاً للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كلّ ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد مرة في بليون مرة.

وضرب الماديون القائلون بالصدفة مثلاً لادعائهم فقالوا:

(لو أن صندوقاً من الحروف الأبجدية أعيد تنضيده مئات المرات وألوف المرات وملايين المرات على امتداد الزمان الذي لا تحصره

السنون ولا القرون، فلا مانع –حينئذٍ- أن تسفر هذه التنضيدات في مرة من المرات عن قصيدة من الشعر المنظوم، ولا عمل في اتفاق حروفها على هذه الصورة لغير المصادفة الواحدة التي تُعرض بين ملايين الملايين من المصادفات، وهكذا الكون المادي في اضطرابه المتشتت الذي تعرض له جميع المصادفات الممكنة في العقول، فلا مانع في العقل –حسب زعمهم- أن تسفر مصادفة منها عن نظام كهذا النظام وتكوين كهذا التكوين في عالم الجماد أو في عالم الحياة).

ولمناقشة قولهم هذا نرجع إلى المثل الذي ضربوه لنجد فيه الفروض التالية:

١. وجود الحروف المتناسبة التي يمكن أن يتكوّن منها الشعر، بحيث لا ينقص منها حرف واحد.

٢. وجود قوة تتولى التنسيق والتنضيد.

٣. استمرار تلك القوة على التنضيد من دون توقف في الأثناء.

٤. وجود فهم كامل لدى تلك القوة يوقف حركة تنضيد الحروف عند الانتهاء إلى قصيدة الشعر.

وفي كلّ واحد من هذه الفروض الأربعة مناقشة بل دليل على فساد هذا الإدعاء:

أما في (الأول) فنتساءل: كيف وجدت الحروف المشار إليها لتقوم بتنضيدها؟ وكيف تقسمت المادة إلى أجزاء متنوعة ينتج من اجتماعها مثل هذه النتيجة؟ ثم كيف كان لهذا التنويع قابلية الاتحاد على وجه مفهوم؟!.

وأما في (الثاني) فنتساءل أيضاً: ما هي القوة التي تتولى التنسيق وتقوم بمهام التنضيد؟ وهل يصح عقلاً أن تكون الحروف نفسها مصدر هذه القوة بحيث تحرك نفسها بنفسها؟.

وأما في (الثالث) فنتساءل كذلك: وعلى فرض وجود قوة بين الحروف كيف تستمر هذه القوة في التنضيد على كلّ الاحتمالات ولا تقف في الأثناء؟ وهل لديها الإدراك المطلوب الذي يدفعها إلى الاستمرار إحساساً بضرورته؟!

وأما في (الرابع) فلا بد لنا من التساؤل أيضاً: كيف نفرض أن الوصول في التنضيد إلى حين حصول القصيدة يستلزم الوقوف عندها؟ ولماذا لا تستمر القوة في التنضيد بعد الوصول إلى قصيدة الشعر ليسرع إليها الخلل وتعم فيها الفوضى قبل أن تنتظم ثانية وثالثة

ورابعة؟ وما هي القوى التي أمسكت بلجام هذه الحركة عند هذا الحد من تنضيدها المستمر؟!.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (١).

إن هذه المناقشة تدلنا بوضوح على أن ما فُرِض أساساً لهذه الشبهة لا يسنده منطق ولا يعترف بصحته عقل، وأن جميع هذه الفروض التي فرضوها ترجع بالنتيجة إلى الدلالة على ضرورة وجود قوة أزلية خالدة عاقلة هي التي أوجدت الكون وأوجدت القوى المنسقة لشؤونه بلا أي فوضى أو اضطراب أو صدفة.

ولتوضيح فساد الصدفة نقول:

إن ظهور الحياة في المادة الصماء يُلزِم العقل بالأخذ بأحد شيئين لا ثالث لهما:

١. فإما أن تكون الحياة خاصة من خواص المادة ملازمة لها فلا تحتاج إلى خالق مريد.

٢. أو أنها من صنع خالق مدبّر مريد.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

فإذا قلنا بكونها خاصة من خواص المادة لزمنا القول بأن المادة أزلية أبدية لا تُحد بأول ولا آخر، وأنها موجودة منذ الأزل بكلّ خصائصها، وأن خصائصها ملازمة لها سواء كانت في هذا المكان من الكون أو ذلك المكان.

وإذن، فلا معنى لظهور الحياة في كوكب دون كوكب وفي زمان دون زمان، ولا معنى لبقاء خصائص الحياة كلّها بلا عمل ولا أثر ملايين الملايين من السنين، ثم تظهر بعد ذلك في زمان يُحسب تاريخه بآلاف أو مئات من الألوف، و لماذا تأجل ظهور الحياة كلّ هذا الزمان الذي لا يمكن حدّه وحصره مع وجود كلّ الخصائص منذ الأزل؟!.

وإذا كانت الحياة أزلية لأنها من خواص المادة الأزلية —حسب الفرض- فلماذا جاءت صدفة ثم دامت؟ وأين كانت في تلك الآماد البعيدة حتى تظهر صدفة وبلا أي قصد إليها وإرادة لها؟.

وعلى هذا فلا بد لنا من الانتهاء إلى الأخذ بالأمر الثاني، وهو أن ظهور الحياة في المادة الصماء كان من صنع خالق أزلي مريد يعلم ما أراد، واختار له الزمان الذي يريد والمكان الذي يريد، فأوجد هذا الكون وما عليه وما فيه في الوقت الذي اختاره والموضع الذي شاءت حكمته تعيينه وانتقاءه.

بقي في البحث سؤال يجب علينا إلقاؤه قبل أن ننهي الحديث، وهو: كيف نشأت الحياة على الأرض؟ وهل يمكن أن يكون مصدرها الشمس؟

وللجواب على هذا السؤال نتساءل أولاً: ما هي الحياة؟ هل هي شيء له حجم أو مادة لها وزن؟ أم هي خليط بين هذا وذاك أو من هذا وذاك:

الحياة هي الأثر الذي يظهر في الخلية الحية التي لا تكاد تُرى إلا بالمجاهر الكبيرة. فهذه النقطة التي تناهت في الصغر تحتوي على مادة لزجة تسمى (بروتوبلازم) وأثر الحياة فيها أنها تتحرك فتأخذ من الجو ثاني أوكسيد الكاربون في وجود الشمس، وتفصل الهيدروجين من الماء فتكوِّن بذلك مركبات كيماوية هي غذاؤها الذي تنمو به وتنقسم.

وقد حاول العلماء ملايين المرات خلق (البروتوبلازم) الحي بمختلف الوسائل وتحت مختلف الظروف فأخفقوا وازدادوا إيماناً بوجود خالق لهذه الخلية، وأن الخلق لا يمكنهم خلق أنفسهم.

وهذه الخلية الحية التي هي وحدة الحياة تتكاثر فتسبب الكائنات، فهل خلقت أول خلية منها خلقاً أم وجدت مصادفة؟!.

لقد وضعت نظريات عديدة لتفسير كيفية نشأة الحياة من عالم الجمادات، فذهب بعض الكتاب إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين أو من الفيروس، أو من تجمُّع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة. وقد يُخيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدّت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات. ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلّم به هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بالفشل الذريع، ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع بعض الذرات والجزيئات عن طريق المصادفة يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية، لأن كلّ خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق والوضوح العقلي.

إن التفسير العلمي للحياة بأنها نشاط كيماوي تفسير غير كاف، لأن الجسم الميت يحتوي على نفس المواد الكيماوية التي في الجسم الحي، والتراب يحتوي على نفس المقادير من الحديد والنحاس والكربون.

والقول بأن الرغبة الجنسية يحث عليها هرمون التستوستيرون لا يفسر لنا الرغبة الجنسية. لأننا سنقول: وما هي الفاعلية التي صنعت التستوستيرون في الجسم؟

وبالمثل حينما يقول لنا عالم النبات أن حركة (عبَّاد الشمس) نحو الشمس ينظمها هرمون الأكسين لن نعتبر المشكلة قد حُلّت، وإنما سوف نسأل: وما هي الفاعلية التي صنعت هذه المادة المثيرة والتي تضبط كمياتها في نسيج النبات؟

وإن التركيب الكيماوي للخلية لا يكشف لنا سرّ حياتها، لأن الحياة ليست مجرد منظومة جامدة مثل البيت أو المصنع، وإنما هي منظومة حيّة فيها قدرة على تكرار نفسها؛ وفيها فطرة إرشادية تقودها من الداخل، وهي فطرة مبثوثة في نسيجها تجدّد ما يتلف منها وتستحدث ما يضيع.

وهكذا يكون اللغز المطلوب حله كامناً في هذه البصيرة المطوية في تضاعيف المادة، وليس في تركيب المادة نفسه.

ويرى العلم الحديث أن أرضنا هذه كانت قطعة من الشمس انفصلت عنها، ولا بد أنها كانت عند انفصالها بدرجة حرارة الشمس نفسها- ولنفترض أنها كانت تماثل درجة حرارة الشمس حالياً؛ برغم

مرور ملايين السنين التي تعمل على خفض حرارتها- فتكون درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة مئوية؛ أما باطنها فدرجة حرارته أربعون مليون درجة، ولما أخذت الغازات التي انفصلت عن الشمس لتكوّن الأرض تبرد تدريجياً تكوَّن سطح الأرض، وتكوّن الماء الذي كلما لامس القشرة الأرضية المرتفعة الحرارة طار إلى الجو في شكل بخار درجته لا تتصور، فيقابل جواً بارداً بين الأرض والشمس فيعود إلى الأرض في شكل طوفان مدمر، وبتوالي انخفاض الحرارة استقر الماء وتكونت البحار ثم الجبال.

وعلى فرض صحة هذه الفروض في كيفية وجود الكرة الأرضية، فنحن نفكّر في أمر الخلية الحية التي ربما يقال أنها نزلت مع الأرض من الشمس، وكيف يمكن أن تعيش خلية حية في درجة حرارة قدرها ما لا يقل عن ستة آلاف درجة مئوية، مهما كانت هذه الخلية مغلفة، ومهما اتخذ حيالها من ضروب الوقاية والمحافظة عليها.

إن درجة حرارة الإنسان -وهو الذي يُعتبر أرقى الكائنات الحية- لا تزيد على ٣٧ مئوية، إلا في حالات المرض فتتجاوز الأربعين قليلاً، وإذا كان الماء يصبح بخاراً في درجة مائة من الحرارة فإن درجة ألف كافية لأن تجعل كلّ شيء مهما كان صلباً على درجة غازية يفقد معها صلابته، فما بالنا بدرجة حرارة ستة آلاف؟

وعلى هذا فإن العلم والعقل متفقان على استحالة بدء الحياة بخلية حية قادمة من الشمس، ولا بد للكائن الحي أن يكون خلق على الأرض بعد تكوّنها، وما أجمل ما يعلنه العالم المعروف غوستاف بونيه إذ يقول: (أن نخلق المادة الحية!! كيف يمكن ذلك حين نفكر كم من الخصائص المتجمعة والوراثة والمستقبل المعقد يوجد في قطعة من البروتوبلازم الحية).

ونعود الآن، وبعد بيان كلّ ما سلف، إلى السؤال الرئيس في البحث:

هذا الكائن الأول الذي لم تسبقه حياة، من أين جاء؟ وممّ تطور؟ ولا حياة قبله.

هل جاء من عدم؟

هل تخلّق من مادة موات!

وكيف يتخلّق الحي من الميت ويصدر الوجود من العدم؟

أسئلة لا جواب عليها ولا حيلة للعلم فيها سوى الفروض والتخمينات.

واحد يفترض أن الكائن الأول سقط علينا من السماء في لفافات الشهب والنيازك قادماً من كواكب بعيدة مأهولة.

وهو جواب يحملنا إلى نفس السؤال الأول، فمن أين نشأت هذه الكائنات الأولية على تلك الكواكب البعيدة؟

وعالم آخر يقول: الحياة تخلّقت من المادة الموات نتيجة ترتيب فريد في ذراتها. وشهادته على ذلك أن المادة الحية تتألف من نفس العناصر الميتة التي نراها حولنا في الصخور والمياه والطين. نفس الذرات: الكربون والإيدروجين والأوكسجين والنتروجين، وقد أعيد بناؤها بنسب وأنماط وعلاقات فريدة لتعطي الأحماض الأمينية والبروتينات والنشويات والسكريات التي نراها في الكائنات الحية، وهو لا يكتفي بالافتراض، بل يقدّم تجربة مثيرة يطلق فيها شرارة كهربائية وإشعاعات فوق بنفسجية في مزيج من غازات النوشادر وثاني أوكسيد الكاربون والميثان وبخار الماء، ثم يجمع نواتج التفاعل فإذا بها آثار أحماض أمينية.

والأحماض الأمينية تعرف بأنها اللبنة الأساسية التي صنع منها الكائن الحي. فمن تشابك هذه الأحماض بطريقة أو بأخرى ينشأ نوع أو آخر من أنواع البروتين. وهذه يمكنها أن تتشابك بمليون وبمليون طريقة كما تتشابك حروف الهجاء في اللغة الواحدة لتؤدي إلى ما لا نهاية من العبارات والكلمات والمعاني. والبروتينات الناتجة هي دائماً مواد شديدة الحساسية للحرارة والبرودة والضوء والكهرباء

فتنحل وتتركب لأقل مؤثر خارجي، فهي إذن تملك صفة الحياة الجوهرية: الانفعال بالبيئة والتأثر بمؤثراتها.

ولقد كانت الظروف منذ ملايين السنين على الأرض ملائمة لتكرار مثل تلك التجربة ولتكوين هذه المركبات الفريدة التي اسمها الأحماض الأمينية، وكانت تذوب في الماء بمجرد تكوينها فتتشابك مع بعضها لتؤلف ملايين الاحتمالات من المواد البروتينية. وكان لا بد أن تلتقي هذه الأحماض الأمينية ذات مرة على النمط الفريد المعروف باسم (حامض ديزوكسي ريبونيوكلييك) D.N.A. ذلك الجزيء الذي يتكون منه الفيروس.

إنها مجموعة من الفروض. كلّ فرض منها يأخذ برقبة الآخر.

إن هؤلاء العلماء يقولون إن قانون الصدفة يؤيدنا. فالقرد الذي يجلس على الآلة الكاتبة يدق عليها إلى ما لا نهاية من الزمان لا بد أن يدق مرة شعراً لشكسبير. أليست أمامه لا نهاية من الفرص ولا نهاية من الزمان؟

إن كلّ ما يطلبون أن تتراص الأحماض الأمينية على الهيئة الفريدة التي اسمها D.N.A.، وسوف تتولى المادة الفريدة أمر نفسها فتتكاثر بآليتها الخاصة واضعة بذلك بذور الحياة الأولى.

صدّقنا وآمنّا جدلاً وافتراضاً أن عناصر التراب والماء التقت صدفة واعتباطاً واتفاقاً على شكل الحامض البدائي D.N.A..

ثم بدأ الحامض يتناسل بطريقته الآلية ليصنع من نفسه ملايين النسخ.

إن كلّ هذا ليس الحياة التي نراها.

لا بد إذن أن نعود فنفترض أن مفردات هذا الحامض عادت فالتقت صدفة واتفاقاً واعتباطاً لتؤلف البروتين.

ثم إن البروتين صدفة واعتباطاً شكّل نفسه على صورة خلية.

ثم نعود فنقول: إن إحدى الخلايا اختارت لنفسها صدفة واعتباطاً الشكل النباتي وخلية أخرى اختارت لنفسها صدفة واعتباطاً الخط الحيواني.

ثم نتسلق شجرة الحياة درجة درجة، ومعنا هذا المفتاح السحري كلّما أعيتنا الحيلة في شيء قلنا: إنه حدث صدفة.

هل هذا معقول؟!

بالصدفة تستدل الطيور والأسماك المهاجرة على أوطانها على بعد آلاف الأميال وعبر الصحاري والبحار.

بالصدفة يكسر الكتكوت البيضة عند أضعف نقطة فيها ليخرج.

بالصدفة تلتئم الجروح وتخيط نفسها بنفسها بدون جرَّاح.

بالصدفة يدرك (عبَّاد الشمس) أن الشمس مصدر حياته فيتبعها.

بالصدفة تصنع أشجار الصحاري لنفسها بذوراً مجنحة لتطير عبر الصحاري إلى حيث ظروف إنبات وري وأمطار أحسن.

بالصدفة اكتشف (الفيروس) طريقته المرعبة في السطو على الخلية وسرقة حياتها من داخلها وتدميرها.

بالصدفة اكتشف النبات (الكلوروفيل) واستخدمه في توليد طاقة حياته.

بالصدفة صنع البعوض أكياساً للطفو لكلّ بيضة من بيضاته لتطفو على الماء ولا تهلك.

والنملة التي تحقن السم في المراكز العصبية للدودة لتشلّها ثم تسحبها لتحتفظ بها في عشها طعاماً مخزوناً للصغار، هل تتم هذه القصة المحبوكة بالصدفة؟.

والنحلة التي أقامت مجتمعاً ونظاماً ومارست العمارة وتخصصت في عمليات كيميائية معقدة تحوّل بها الرحيق إلى عسل والزهر إلى شمع هل تقوم بكلّ هذا صدفة؟

وحشرة (الترميت) التي اكتشفت القوانين الأولية لتكييف الهواء وطبّقت في مجتمعها نظاماً صارماً للطبقات هل وصلت إلى ذلك بالصدفة؟.

والحشرات الملونة التي اكتشفت أصول فن ومكياج التنكر والتخفي؟

والحشرات (قاذفة القنابل) التي تولد الغازات السامة وتطلقها، هل كلّ هذا تمَّ صدفة وخبط عشواء؟.

لو أننا صدّقنا وآمنا بأن الحياة بدأت صدفة!

فكيف نصدّق أن كلّ هذه الأحداث تمت بالصدفة.

إنها السذاجة بعينها أن نقول مثل هذا الكلام.

وقد وجد الفكر المادي نفسه في مأزق أمام هذه السذاجة فبدأ يحاول التخلص من كلمة (صدفة) ليفترض فرضاً آخر فقال: إن كلّ هذه الحياة المذهلة بألوانها وتصانيفها بدأت من (حالة ضرورة) مثل الضرورة التي تدفعك إلى الطعام ساعة الجوع، ثم تعقدت (الضرورة) بتعقد البيئات والظروف والحاجات فنشأت كلّ هذه الألوان.

وهذا مجرد لعب بالألفاظ.

فمكان (الصدفة) وضعوا كلمة (تعقد الضرورة).

وهي في نظرهم تتعقد تلقائياً وتنمو تلقائياً؛ كيف؟!.

كيف ينمو الحدث الواحد إلى قصة محبوكة بدون عقل مؤلف؟.

ومن الذي أقام (الضرورة) أصلاً؟.

وكيف تقوم (الضرورة) من (لا ضرورة)؟.

إنها استماتة وتفانٍ من أجل تجنب حقيقة فطرية بديهية تفرض نفسها على ذلك كلّه فرضاً: إن هناك خالقاً مدبراً.

فلماذا المكابرة؟.

ولماذا نلتمس المستحيل لنتجنب الحقيقة الواضحة التي تهتف بها الفطرة والبداهة من أعماقنا؟.

وإذا كذبنا البداهة فماذا يبقى من عقلنا؛ وهو يقوم كلّه على نظام منطقي من البديهيات؟.

وليس من معنى لذلك كلّه سوى أن نهدم عقلنا ومعطياته من حيث ندّعي أنّنا عقلانيون علميون نستهدي الموضوعية العلمية في كلّ شيء.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [١]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٢]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [٣]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٢) سورة يونس: الآية ٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢-٣٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

المصادر والمراجع

١. الله: لعباس محمود العقاد، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢. الله والعلم الحديث: لعبد الرزاق نوفل، القاهرة، ١٣٧٦هـ.

٣. الله يتجلى في عصر العلم: لجماعة من الأساتذة الغربيين، القاهرة، د.ت.

٤. حق اليقين: للسيد عبد الله شبر، صيدا، ١٣٥٣هـ.

٥. العلم يدعو إلى الإيمان: لموريسون، القاهرة، ١٩٦٥م.

٦. لغز الحياة: لمصطفى محمود، بيروت، ١٩٧١م.

٧. مطارحات فلسفية: لنصير الدين الطوسي، بغداد، ١٣٧٥هـ.

لما كنّا نؤمن بأن الإسلام لا يمكن أن يصطدم بالعلم والعقل أبداً، لأنه قائم عليهما ومستند إليهما، كان لزاماً أن نبحث موضوع الألوهية على ضوء العلم الحديث الذي أراد المشكِّكون استغلاله في الهدم والتخريب. وكانت خلاصة النتائج التي أدى إليها البحث: أنّ هذا العلم بلغته الخاصة ومنهجه المجرد، وبأحدث نظرياته وأعمق اكتشافاته، قد زادنا إيماناً بالله تعالى، ووضع في أيدينا من الأدلة والبراهين ما لم يكن في متناول السابقين من الكتّاب والباحثين. وأن هذا العلم قد فنّد- بكل صراحة ووضوح - سائر دعاوى القائلين بأزلية المادة وآثار حركتها وتطورها في الخلق والإيجاد، وكلّ مزاعم المعتمدين على الصدفة والاحتمال في ظهور الحياة والموجودات في هذا العالم الكبير.



الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام
زورونا www.aljawadain.org
راسلونا fikriya@aljawadain.org